

"الإسلام الأوروبي"

مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، أبريل 2008

أصدر مركز المسبار للدراسات والبحوث بدبي كتابه السادس عشر حول الإسلام الأوروبي، وهو أول كتاب عربي جماعي يصدر بالعربية حول هذا الموضوع.

حسب مقدمة الكتاب التي كتبها رئيس المركز الأستاذ تركي الدخيل، فإن دراسة الإسلام الأوروبي ليست دراسة مفهومية فقط، تتعلق بتطورات الخطاب الإسلامي أو تجديده خاصة في ما يخص المسلمين في أوروبا وحدها، بل إنها كذلك دراسة اجتماعية وسياسية متعددة الأبعاد، منها ما يخص الأمن كما أن منها ما يخص الاجتماع والتمظهر الديني والسياسي، في ظل تطورات هيكلية وسياسية، تشهدها القارة الأوروبية.

كما أن طرح الإسلام الأوروبي الحديث نسبياً، يسائل تاريخياً رؤى تتعلق بالإسلام نفسه كدين وتاريخ في مراحل مختلفة، فبينما يرى البعض أن الإسلام حينما انتشر في أوروبا وغيرها من أنحاء العالم، تفاعل مع عادات شعوبها وأعرافها وثقافتها، طالما كانت متوافقة مع التعاليم والأحكام الإسلامية، يرى آخرون أن الإسلام قوّم هذه العادات والأعراف والثقافات، وصهرها في مزيج واحد وبالتالي فلم يختلف الإسلام باختلاف البيئة الجغرافية والثقافية، وبالتالي يكون الإسلام واحداً وليس متعددًا، لا تؤثر فيه السياقات المغايرة ولا يتأثر بها، بينما يلح البعض الآخر على تعدديته في مقابل القائلين بهذه الأحادية.

ركز كتاب المسبار السادس عشر حول الإسلام الأوروبي على قضايا وتصورات الغرب لتصور الإسلام ودوره داخله، وكذلك طرح عدد من المفكرين المسلمين في أوروبا للإسلام الأوروبي ودوره واتجاهاته.

في مقدمة الكتاب يؤكد مركز المسبار أنه يخصص إصداره السادس عشر، لدراسة هذا الموضوع، لأنه لم يحظ بالقدر الكافي من الدراسة والبحث لدى الدوائر العربية المعنية، في حين اعتنى به الباحثون الغربيون عناية كبيرة، واهتمت به مؤسسات وتيارات عديدة في الخارج، مما يمكننا من القول إن هذا الإصدار السادس عشر من كتاب المسبار الشهري يعتبر أول كتاب يصدر بالعربية حول الإسلام الأوروبي.

لقد تضاعف الاهتمام بالظاهرة الإسلامية في أوروبا بعد صعود ما يعرف بالحرب على الإرهاب، وهذا هو المدخل الذي يقدم من خلاله الدكتور هيثم مناع ورقته حول "الإسلام في أوروبا: إعادة اكتشاف الذات"، والتي يرصد من خلالها المنعطفات الهامة في الوجود البشري الإسلامي في أوروبا، والتي كانت ذروتها في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات، تلك الفترة التي كان الغرب فيها يرى الإسلام "خطرا" و"حمى" تهدد حضارته، ويحلل مناع ما ترتب على تزايد عدد المهاجرين المسلمين إلى أوروبا، وما رافقها من أزمة هويات على الصعيد العالمي، عزز منها إعادة اكتشاف الهوية الأوروبية المتعددة القوميات، المختلفة المسارات، ومخاض هذه العملية على الذات المهاجرة.

وفي دراسته يؤكد الدكتور حسين عبد القادر في دراسته "مسلمو أوروبا: أطوار الاعتدال والتطرف"، حيث يتابع نظرة أوروبية أحادية برزت منذ بداية الثمانينيات، يعكسها الإعلام الغربي بشكل كبير، وميزتها نزعة الاستقطاب باتجاه العنف والتطرف، ولم تترك هذه النظرة مجالا لرؤى أخرى نحو العالم الإسلامي. ومن أجل الكشف عن خلفيات تلك النظرة والتي نجم عنها أحكام مسبقة، يميز عبد القادر بين أطوار ثلاثة، مر بها الإسلام الأوروبي، أو توجهات المسلمين في أوروبا، هي: الإسلام السياسي، والإسلام الأصولي (أو المتزمت)، والإسلام السياسي المتطرف.

وتأتي دراسة الأكاديمي الجزائري الدكتور محمد الطيبي بعنوان "الإسلام وأوروبا: إشكالات مفاهيمية"، حيث يسعى إلى ملامسة إشكالية الإسلام في أوروبا، كدين وقيم من جهة، وكمجموعة بشرية تنتمي فيه، طارحة حقوق مواطنها ضمن تميزها العقدي، من جهة أخرى.

حيث تتفادى في الآن نفسه النزوع إلى تمايز هوياتي، يفصلها عن الديناميكية العامة للمجتمعات التي تعيش فيها منشأ وتربية ومصيراً.

وحول صراع الهوية والاندماج، الناجمين عن تشكل المجموعة البشرية الإسلامية في أوروبا، يقدم الأكاديمي المغربي الدكتور يحيى اليحياوي دراسته التي يطرح فيها الأسئلة والمخاوف والشكوك حول إدماج المسلمين في التجمعات الوطنية القائمة في الدول الأوروبية، تلك المتعلقة بالآليات القانونية الكفيلة بذلك، والإجراءات العملية الضامنة لهذا الاندماج شكلاً ومضموناً. ويلاحظ اليحياوي أن سياسات الإدماج المعتمدة، إنما أرادت إعادة موقعة المسلمين على المستوى الاقتصادي والاجتماعي وإلى حد ما الثقافي، في حين بقي البعد الديني مثاراً أخذ ورد.

وحول مفهوم الإسلام الأوروبي نفسه يقدم الأكاديمي الجزائري الدكتور بومدين بوزيد دراسته "مسلمو أوروبا بين الديني والعلماني" حيث يخلص إلى أن الإسلام "الليبرالي/الأوروبي" يتعامل بطريقة أكثر تمدناً مع المرأة وقضاياها مثلاً، وهو لا يسعى إلى أسلمة أوروبا وتحويلها من "دار العهد" و"الدعوة" إلى "دار الإسلام"، وإنما يتفاعل مع آليات التكامل والاندماج في المجتمع الغربي ووفق معايير ومنظومة قيمه بشكل رئيس.

وحول فقه الأقليات يقدم الأكاديمي المغربي منتصر حمادة دراسته "سؤال المرجعية: من أجل فقه جديد لمسلمي أوروبا"، يتساءل حمادة عن واقع التحديات الهوياتية التي تواجه تلك الأقليات، وتجد نفسها مضطرة لتمرير مواقف عملية تجاهها، سواء كانت مؤسسة على أرضية شرعية/تأصيلية، أم على قناعات عقلانية براغماتية، فهناك "نوازل" فقهية جديدة يعج بها المجال الغربي، كالتوفيق بين الحقوق المدنية وتلك الإسلامية، والحجاب، والمشاركة في الحياة السياسية من أحزاب وبرلمانات... ويتساءل حمادة في دراسته عن كيفية التعاطي مع سيل الفتاوى الذي ينهمر عبر الفضائيات من أولئك الذين لم يمروا بخبرة الحياة في مجتمعات غربية؟

وفي دراسة حالة مهمة يقدم الباحث والأكاديمي الجزائري الدكتور حسين الزاوي "الإسلام السياسي والجالية الجزائرية في فرنسا"، وهو موضوع جدير بالدرس في هذا السياق، فوجود الجزائريين في فرنسا كان مؤقتاً في الفترات الأولى، لكنه ما لبث خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، أن تحول ومع بداية هجرة الجيل الثاني في شكل مجموعات عائلية بسيطة، إلى تحديات على صعيد الاندماج الاجتماعي للجزائريين في النسيج الفرنسي، وخاصة أن أولياء تلك المرحلة لم تكن لهم المؤهلات التعليمية، التي تسمح لهم بمراقبة أبنائهم المنبهرين بجانبية المحيط الجديد. وبدأ الوجود الإسلامي في فرنسا يتحول من مجرد ظاهرة اجتماعية بسيطة إلى قضية رأي عام وطني، يسهم أسلوب التعاطي معها في تحديد وحسم مختلف الاستحقاقات السياسية التي عرفتها فرنسا خلال العشرين سنة الأخيرة.

وحول طارق رمضان، أبرز ممثلي طرح الإسلام الأوروبي، يقدم الباحث المغربي الدكتور محمد همام دراسته "أطروحة الاندماج عند طارق رمضان"، وهو أحد أهم رموز طرح "الإسلام الأوروبي"، والداعين إلى فهم جديد للهوية المسلمة فيها، حيث يؤكد رمضان على أن المسلمين مطالبون اليوم بالتخلي عن كل نزوع طائفي؛ بكل ما يحمله من انطوائية ومحدودية في التواصل والمشاركة، إذ لا يجب الخلط بين التجمع الإيماني، وأساليب النزوع الطائفي المغرقة في الانعزال والتفرد على المستويات الاجتماعية والسياسية والتشريعية.

وفي دراسة حالة أخرى يعرض الأكاديمي المصري المقيم ببريطانيا سعيد شحاتة أوضاع المسلمين في بريطانيا، ويتساءل في عنوان دراسته: "المسلمون البريطانيون، أم المسلمون في بريطانيا؟"، ويتناول بالتحليل أبرز العوامل المشجعة، وتلك المنفرة لاندماج المسلمين في المجتمع البريطاني، ومنها التعليم والمدارس الإسلامية، ودور الجامعات، ودور المساجد والأئمة، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين، ودور الإعلام والسياسة الخارجية البريطانية تجاه العالم الإسلامي.

وعن "معوقات التحاور والتجاور" بين الإسلام والغرب، يقدم الدكتور عبد القادر بوعرفة ورقة تحليلية، يبدأها بأسئلة منهجية: عندما نتحدث عن إشكالية العلاقة بين الإسلام والغرب، فأى

إسلام نقصد، ومع أي غرب نريد أن نتحاور ونتجاوز؟ فالقضية المركزية التي ينبغي الانطلاق منها عند تناول العلاقة بين الإسلام والغرب هي أن الإسلام ليس بوحدة متجانسة على مستوى الفهم والممارسة، ويقاس الأمر نفسه على الغرب الذي يخضع لعملية انقسام حاد. نحن إذن أمام مفهومي غير متجانسين، أحدهما جغرافي بحت (أوروبا)، والآخر ذو أصل ديني بحت، وما ينطوي تحتها من تباينات واختلافات عدة.

بينما يلفت الباحث السوري رضوان زيادة النظر إلى زاوية ما بات يعرف بعولمة أو "تحديث" الإسلام، تلك العملية التي انطلقت وارتبطت بشكل كبير بحدث 11 سبتمبر (أيلول) 2001، وما لحقه من هجمات إرهابية في أكثر من دولة أوروبية، ويرى زيادة أن هذا الحدث أيضاً أطلق حواراً مباشراً أحياناً، وغير مباشر، أحياناً أخرى، بين الرؤيتين الغربية والإسلامية للعالم، كما أنتج منظورين مختلفين جزئياً لكل من أوروبا والولايات المتحدة تجاه الإسلام والمسلمين داخل كل منهما.

كما يطرح الباحث والأكاديمي الجزائري بوفلجة غيات عدداً من الأسئلة المهمة حول الوجود الإسلامي في الغرب، وشروط التفاعل الحضاري مع أحداثه وواقعه في دراسة بعنوان "الوجود الإسلامي والتفاعل الحضاري في الغرب".

ويضم كتاب المسبار السادس عشر قراءتين في اثنتين من أهم الكتب التي صدرت حول هذا الموضوع، وهما كتاب "ضواحي الإسلام" للبروفيسور الفرنسي المتخصص في الإسلاميات جيل كيبل، ويقراه الصحافي التونسي هادي محمد، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه تنبأ منذ الثمانينيات من القرن الماضي باحتلال الإسلام مكانة مهمة في التركيبة الاجتماعية الفرنسية، وكان صريحا وسباقا في الدعوة إلى إدماج الإسلام عبر كتابه الذي وضع له عنوانا فرعيا وهو "ولادة ديانة في فرنسا".

أما الكتاب الثاني فهو: "نحو إسلام أوروبي"، للكاتب والخبير الفرنسي أوليفيه روا، ويعرضه الدكتور بن عبو سنوسي، وتتمحور إشكالية الكتاب حول سؤال: هل يتوافق الإسلام مع

العلمانية؟، وهو السؤال الذي يطغى الآن على النقاش في أوروبا. فالصعوبات التي تعترض اندماج المسلمين في المجتمع الأوروبي، وعدم الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط، غالباً ما تنسب في نظر المؤلف- إلى التعارض بين الإسلام واللائكية، وهو يفرق هنا بين اللائكية كمفهوم سياسي، والعلمانية كمفهوم مجتمعي.

كما يشارك المفكر المصري الدكتور حسن حنفي بدراسة الكتاب تحت عنوان "الإسلام/أوروبا: هل ينتفي الخوف المتبادل؟"، والتي يفتح بها كتاب المسبار سلسلة من الدراسات حول العقل الأصولي الديني والإيديولوجي عموماً تمتد مستقبلاً في سائر أعداده.

ويحرص كتاب المسبار على تقديم بليوجرافيا لأهم المؤلفات الأجنبية والعربية في موضوع ملفه إضاءة للبحث فيه، ودعوة للمشاركة الفاعلة في تطوير قضيته وأطروحاته.